المحاضرة الثانية

تطور الاهتمامات والبحوث العلمية (أهم المراحل التاريخية).

أولا: أهم المراحل التاريخية للإتصال:

لكي نلمس ما بلغته الاتصالات من سهولة ويسر وسرعة، لابد من نظرة مرجعية نتبع من خلالها التطور التاريخي لاتصال الانسان، وقد عرض دانيال بيل خمسة مراحل تعكس التطور الاتصالي وهي:

1- المرحلة الشفهية:

ويطلق عليها المرحلة الشفهية الكلية أو مرحلة قبل التعلم، وكانت وسيلة الاتصال الرئيسية فيها هي الكلمة المنطوقة والحاسة الأساسية هي السمع أي أن الاتصال يتم مباشرة من الفم إلى الأذن ،مما دعم العلاقات الاجتماعية وتماسك المجتمع في وحدات قبلية مندمجة ،وكانت الإشاعة هي أول شكل من أشكال الإعلام والاتصال.

2-مرحلة الكتابة:

وفيها عرف الإنسان اللغة المكتوبة ،وأصبحت حاسة البصر الحاسة الرئيسية للتواصل، وكان السومريون أول من اخترعوا طريقة الكتابة ،حيث سميت بالطريقة السومرية، واستطاعوا الكتابة على الطين اللين وذلك منذ حوالي 3600ق.م ،وقد مرت الكتابة بدورها بالعديد من المراحل ،فقد انطلقت من الكتابة التصويرية (الوصف التصويري) إلى نظم علم الصوتيات أو الكتابة على أساس النطق ،وتعتبر الرسومات الدقيقة للحيوانات ومشاهد الصيد أقدم المحاولات لتسجيل المعلومات ،وكانت الأحجار أول وسيط يتم تسجيل المعلومات عليه، ثم تطورت الكتابة حيث اخترع الفينيقيون الحروف الأبجدية أو الكتابة " الألف بائية" ،وربما قبلهم الشاميون في سوريا في الحقبة الواقعة 2000 – 1000 ق.م ،ليكمل اليونانيون مسيرة تطوير الكتابة باختراعهم الأبجدية التي تشتمل على حروف متحركة، وذلك في القرن الثامن إلى القرن السادس قبل الميلاد، وبالإضافة إلى الكتابة على الطين والحجر، فقد كانت الكتابة كذلك على العظام والخشب واستعمال الطبول والنار والحمام الزاجل، وقد اجتهد المصريون فاستخدموا ورق

البردي حوالي 2500ق.م، ثم تمكن الصينيون من اختراع الورق من لحاء شجر التوت حوالي 105م، واستطاع المسلمون الحصول عليه بعدما امتدت فتحاتهم لتتجاوز الصين شرقا حوالي منتصف القرن الثامن ،ثم انتجوا ورق من ألياف الكتان ،ثم أول مصنع إنتاج للورق في التاريخ في مدينة سمرقند.

3-الطباعة:

يعتبر اختراع " يوحنا غوتنبورغ" لآلة الطباعة في منتصف القرن 15 بداية الانطلاق لانتشار المنتوج الإعلامي والثقافي (الصحف ،المجلات، الكتب،...) وبروز المجتمع الجماهيري والثقافة الجماهيرية والنشر الجماهيري للدوريات مما حقق ديمقراطية الإعلام والثقافة.

4-المرحلة الإلكترونية:

وهي مرحلة بدأت في منتصف القرن 19، واستمرت حتى أوائل التسعينيات من القرن الماضي ،وظهر في هذه المرحلة التلغراف واستطاع " الكسندر غراهام بيل" في سنة 1874 أن يخترع الهاتف، ثم استخدمت الكاميرة في مجال السينما التي افتتحت في باريس سنة 1895 من طرف الإخوة " لوميار" ،والتي ابتدأت كسينما صامتة لتصبح سينما ناطقة عام 1926، وكان أول عمل سينمائي ناطق هو فيلم " مغني الجاز" ،ثم تلاها ظهور الإذاعة وبعدها التلفاز ،لتبدأ بعد ذلك أنظمة الاتصالات عبر القارات ،وبفضل الامتزاج بين الوسائل الرقمية مثل الحاسبات الإلكترونية وغيرها، وهنا ظهر مجتمع المعلومات تمثله الأنترنت بقوة.

5-المرحلة التفاعلية:

بدأت هذه المرحلة في منتصف الثمانينات ومازالت مستمرة حتى الآن، حيث استخدمت الأقمار الصناعية والألياف البصرية لنقل الأنباء والبيانات عبر الدول والقارات بطريقة فورية، ويطلق على هذه التكنولوجيا السائدة بالتكنولوجيا الرقمية أو التكنولوجيا التفاعلية، أو التكنولوجيا متعددة الوسائط، وظهر ما يعرف بالنشر المكتبي ثم الإلكتروني، كما توسع استخدام الانترنت والوسائط المتعددة.

ثانيا: تطور الاهتمامات والبحوث العلمية في الاتصال:

تطورت الدراسات والبحوث الأكاديمية في مجال الاتصال متأثرة بتطور الوسائل نفسها، ومرت بمراحل تركيز مختلفة:

1- المرحلة الأولى (ما قبل الأربعينيات) التركيز على الدعاية والتأثير القوي :

- بدأت الدراسات الأولى بالتركيز على الدعاية (البروباغاندا)، خاصة خلال الحرب العالمية الأولى.

• سادت نظريات مثل " نظرية القذيفة السحرية" أو " الإبرة تحت الجلد" ،والتي كانت تفترض أن لوسائل الإعلام تأثيرا قويا ومباشرا وموحدا على الجمهور السلبي.

2- المرحلة الثانية:(الأربعينيات – السبعينيات) التركيز على الاستخدامات والمستخدمين والآثار المحدودة:

• تحولت الاهتمامات للتركيز على جمهور وسائل الإعلام وسلوكياته (من يستخدم؟ ماذا؟ ولماذا؟، وظهرت دراسات " الاستخدامات والإشاعات."

• أشارت الأبحاث إلى أن تأثير وسائل الإعلام ليس مباشرا وقويا دائما، بل يتأثر بعوامل وسيطة مثل العلاقات الشخصية (نظرية تدفق الاتصال على مرحلتين).

3- المرحلة الثالثة (السبعينيات – التسعينيات) التركيز على التأثيرات الاجتماعية والنفسية طويلة المدى:

• عادت الاهتمامات لدراسة الآثار ،ولكن هذه المرة بشكل أكثر تعقيدا وطويل المدى ،مثل نظرية "ترسيخ المعرفة " و " تحديد الأجندة."

• ازداد الاهتمام بدور التكنولوجيا في تشكيل المجتمع والثقافة ،وليس فقط نقل الرسائل.

4- **المرحلة الرابعة (مرحلة البيئة الرقمية والمعاصرة):**

• في العصر الحديث تركز البحوث على تأثيرات التكنولوجيا ،التفاعلية والأنترنت ، ومنصات التواصل الاجتماعي.

• تشمل الاهتمامات القضايا الحالية مثل تأثير الذكاء الاصطناعي على الإعلام ،الخصوصية الرقمية ،انتشار الأخبار الكاذبة، وتشكيل الرأي العام في البيئات الافتراضية.

في الأخير كخلاصة أن تطور الاتصال من كونه تفاعلا بشريا بدائيا إلى نظام عالمي معقد، وتوازي ذلك مع تطور البحث العلمي من دراسات التأثير القوي المباشر إلى تحليل التفاعلات المعقدة بين الوسيلة والرسالة والجمهور والسياق الاجتماعي.